جون كمشه ومجلة نيو ميدل ايست

ف. المنصور

في آذار ١٩٦٧ فصل رئيس تحرير صحيفة « جيويش اوبزرفر اند ميدل ايست ريفيو » وهي الصحيفة الاسبوعية الناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني في بريطانيا واشهر صحيفة صهيونية خارج اسرائيل ، فصل من منصبه الذي كان قد شغله طوال خمسة عشر عاما . رئيس التحرير هذا كان جون كمشه السويسري المولد والصهيوني المحترف الذي قضى حياته يعمل في مجال الدعاية لعقيدته . اما سبب طرده فكان نشره لمقال اثار غضب الحكومة الاسرائيلية ، اذ طالب فيه باستقالة ياكوف شابيرو ، وزير العدل الاسرائيلي ، لان الاخير كان قد أمر باعتقال رئيسي تحرير مجلة اسرائيلية اسمها «بول» ومحاكمتهما سريا ، وذلك لخرقهما الفقرة ٢٣ من قانون أمن الدولة الصادر في ١٩٥٧ عندما فضحا في مجلتهما المهتمة عادة بالجنس والفضائح الخلقية ، تورط الاستخبارات الاسرائيلية في خطف السياسي المغربي مهدي بن بركه في باريس . ولم يكن كمشه قد اكتفى بذلك ، بل انه كان على وشك نشر مقال عن البطالة في اسرائيل عندما أمر الاتحاد الصهيوني الذي يمتلك « الجيويش اوبزرفر » بوقف اصدار الصحيفة مؤقتا بعد ان وصلته الاوامر من ليفي ايشكول شخصيا ، الذي كان آنذاك رئيس وزراء اسرائيل . ولذا لم يصدر العدد الذي كان كمشه يريد ان ينشر به مقال مراسله في اسرائيل عن البطالة . وبالرغم من ذلك ، فقد ظل كمشه محتفظا بثقته في نفسه ، معلنا لكل من يريد أن يصغي اليه ، انه يؤمن بحرية الصحافة ، وانه سيقدم المقال « للنشر في الاسبوع القادم وبكل أسبوع يليه الى ان ترفع الرقابة » . ثم اضاف قائلا بتحد : « اني اقف على كل شبر من حقوقي ولن اقبل بأن أفصل وكأني مجرد ساعي مكتب » . ولكن الذي حدث بعد ذلك انه فصل بالضبط وكأنه ساعي مكتب لا أكثر ، ولم ترع أصول اللياقة في طرده . هذه العاصفة في الفنجان الصهيوني اثارت ضجة كبيرة في تل أبيب وبالاوساط الصهيونية في مختلف ارجاء العالم ، فالقطة كانت قد خرجت من الحقيبة ، كما يقول المثل الانكليزي، وغسيل اسرائيل القذر نشر أمام أنظار الناس جميعا ، يهودا وغير يهود ، وهي حالة كفيلة باثارة غيظ الاسرائيليين الذين اشتهروا بحساسيتهم المفرطة أمام النقد . فالامر لم يقتصر على أن صهيونيا من الذين كرسوا حياتهم كلها لخدمة القضية ، مثل كمشه ، قد تحدى التقليد المتبع في الاوساط الصهيونية والذي يرى في أي نقد علني لاسرائيل صادر عن صهيوني الكفر بعينه ، وانما الامور نفسها التي كشف عنها الستار كانت في حد ذاتها مؤلمة ومحرجة . فأولا قضي على الاسطورة التي تقول ان اسرائيل هي دولة تقدس حرية الراي والتعبير عندما اتاح كمشه للعالم أن يسمع بوجود قوانين الامن الصارمة في الدولة الصهيونية ، وهي القوانين التي تجيز للبوليس القاء القبض بشكل اعتباطي وايقاف المتهم وقتا طويلا دون توجيه تهمة معينة اليه ، ومحاكمته سريا الخ.. كما تسمح هذه القوانين للرقيب أن يلقي نظرات فاحصة من فوق كتفي كل صحفي في البلاد ، أجنبيا كان أم اسرائيليا ، ليرى ما يكتبه . بل وأسوأ من ذلك كله في نظر